

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إدارة الثقافة والنشر



الدعاء والشفاء



خلف القنبية

تأليف

الدكتور عبد الرزاق حسين

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء

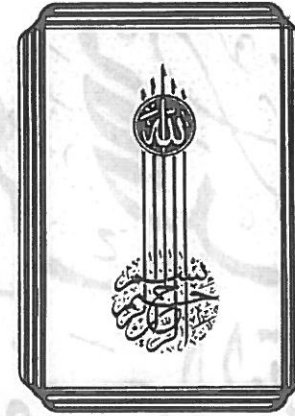
رمضان ١٤٠٨ هـ - مايو ١٩٨٨ م

تقديم

الحمد لله تعالى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله وأشرف أنبيائه ورسله وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . . . أما بعد:

فإن الإنسان يتقلب أثناء حياته في أطوار من الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة، وهو يمر خلالها بأحوال من العسر واليسر والفقر والغنى، والحزن والسرور، والصحة والمرض، والقوة والضعف وغير ذلك من الأحوال. وإذا أردت أن تخاطب الإنسان فلا بد أن تراعي الحال التي يكون عليها، ليكون الكلام مناسبا لمقتضى حاله فيصبر ذا نفع وأثر حسن، وتحقق مقاصده.

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهي تسعى لأداء رسالتها العلمية والتوجيهية، وتشارك في خدمة المجتمع بمختلف فئاته وأفراده وتباين أحوالهم وتبدى اهتمامها بهم، وتشعر بحاجتهم إلى التوجيه والإرشاد لتسهم في تكون مجتمع



صالح قائم على المحبة والتناصح ، والالتزام بأحكام الإسلام وآدابه قولاً وعملاً واعتقاداً . إن الجامعة - وهي تحس بهذه الاعتبارات - وتسير بجهد لتنفيذ سياسة حكومة خادم الحرمين الشريفين وفقه الله التي تهدف إلى بناء هذا المجتمع بناء قويا صالحا تقدم سلسلة هذه الكتب لفئة من فئات المجتمع التي هي أحوج ما تكون إلى التذكير والنصح والإرشاد، تلکم هي المرضى وكبار السن وكذلك الغافلين ومن أغواهم الشيطان فأوقعهم في دروب الشر وانتهى بهم الحال لدخول السجون والبقاء فيها مددا طويلة عقابا لهم في الدنيا على ما اقترفوا من أعمال، فهم في أحوالهم هذه بأمس الحاجة إلى التذكير، وحثهم على الاستقامة على الحق وسلوك الطريق المستقيم، والصبر على البلاء، والالتجاء إلى الله تعالى في السراء والضراء، والايان بالقضاء والقدر خيره وشره، وانتهاز الفرصة للتوبة النصوح، والثبات على الحق، واحتساب الثواب والأجر، واحسان الظن بالله عز وجل.

ولقد من الله تعالى على المسلم بهدايته للإسلام، وينبغي عليه تقدير هذه النعمة وشكرها والمحافظة عليها، وأن يكون قلبه بين الرغبة والرغبة، والخوف والرجاء وألا يتهادى به الرجاء والأمل إلى التقصير والأمن من عذاب الله، كما لا يجوز أن يتهادى به الخوف إلى حال القنوط من رحمة الله .

﴿ نَتَىٰ عِبَادِي أَنِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَن عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝ ﴾^(١) .

بل يكون وسطا في ذلك فيجتهد في أداء شعائر الإسلام ويخلص لله فيها، ويسعى لكسب الرزق الحلال، فيستمتع بدنيته استمتاعا لا يؤثر على دينه ولا يضر بآخرته .

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝ ﴾^(٢) .

وان الجامعة - وهي تقدم هذه السلسلة من الداء والشفاء تسعى إلى تذكير المسلم وحثه على العودة إلى الله تعالى في كل وقت، وتبصيره بأمره وكيف يتعامل معها في ضوء هدى القرآن الكريم وسنة المصطفى الأمين .

ومن خلال هذه السلسلة يقدم لنا الدكتور/ عبدالرزاق حسين قصة فارس ثقيف وشاعرها البطل المسلم (أبو محجن الثقيفي) يقدمها لنا بأسلوبه الإبداعي في ثوب جديد وحوار جيد

(١) سورة الحجر الآيتين ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) سورة القصص الآية ٧٧ .

نقل من خلاله صورة صادقة عن الصراع بين الخير والشر في النفس الإنسانية.

وبين لنا كيف استطاع سلطان الخمر أن يستعبد الفارس وينزل برتبته بين الرجال ومكانته في المجتمع حتى كاد أن يقضي عليه.

الفارس المغوار مقيد بالسلاسل والمعارك تدور قريبا منه وهو لا يستطيع المشاركة فيها كل ذلك بسبب الخمرة اللعينة البذيئة.

البلقاء تصهل وتمحّم وكأنها هي الأخرى تكي على صاحبها الذي حرّمه المرض من المشاركة في المعركة وإن كان يديرها ويشرف عليها.

البتار معلق، بريقه يلمع في العيون، وصوته يرن في الأذان، ولكنه هو الآخر يكي صاحبه المصاب.

بكى أبو محجن ولم يحتمل الموقف. ثم صرخ بأعلى صوته. سلمى. سلمى. بربك الا فككت قيدي، فأما الشهادة وأما العهد بأن أعيد هذا القيد بنفسى وأعاهد الله أشهدك أني حرمت الخمر إلى الأبد.

وتحرص المجاهدة المسلمة على إمداد جند بفارس محنك هم

في أشد الحاجة لمثله وأملها أن تكون هذه الفرصة خير دافع لأبي محجن ليتوب إلى الله بصدق. فقد استجابت وهي تأمل من الله أن يكون فيها أقدمت عليه خيرا.

ودخل الثلاثة المعركة. أبو محجن. والبلقاء. والبتار. وسطروا أروع الأمثال وتحقق النصر في القادسية وصدق الفارس وعده ولم تلامس شفتاه الخمر بعد ذلك.

إنها لعبرة لمن يعتبر ودافع أمل لكل من دبّ في نفسه الوهن ونخر عظامه السوس وصعب الشيطان أمامه طريق التوبة.

الإرادة. والعزم. وصدق الإيمان. ومعاودة النفس بعدم العودة للشر كافية بأن تعيد المسلم للطريق القويم. والتوبة إلى الله تعالى. فإن الله غفور رحيم. لقد استطاع المؤلف وفقه الله وأعانه أن يشدنا إلى هذه القصة الواقعية من تراثنا الإسلامي. فقد أحسن سبك جملها وصياغتها ومثل هذا الأسلوب له أثر فعال في تعميق التراث في نفس القارئ والمستمتع جزاه الله على هذا الصنيع خيرا.

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذه القصة نافعة مباركة ذات تأثير حسن على من يقرأها أو يسمعها. وأن يوفق الجميع للعمل الصالح. والسير على الصراط المستقيم والثبات على

الحق . وأن يهدى ضال المسلمين ويشفى مرضاهم . ويجمع لهم
بين الأجر والعافية وحسن الخاتمة . إنه سميع مجيب . والحمد لله
رب العالمين .

مدير جامعة

الامام محمد بن سعود الإسلامية
عبدالله بن عبدالمحسن التركي

مقدمة وتعريف

أبومحجن الثقفي من الفرسان الشجعان الأبطال،
والشعراء الكبار في الجاهلية والإسلام .
أسلم حين أسلمت قبيلته ثقيف في العام التاسع
للهجرة .

كان من المغرمين بالنيبذ لا يكاد يقلع عنه، حدّه عمر
بن الخطاب رضي الله عنه مراراً فلم يمتنع، فنفاه إلى
إحدى الجزر عقاباً له، ففرّ إلى القادسية، فأمر سعد بن
أبي وقاص بحبسِه، فحبسه .

واحتدمت معركة القادسية بين المسلمين والفرس،
وما أن رأى أبومحجن الفرسان تقتتل حتى تحركت فيه
روح الجهاد وهو الفارس المعلم .

وعاهد الله إن مكّنه من المشاركة في الجهاد أن لا يعود
إلى الخمر . وأرسل إلى امرأة سعد يقول لها إنَّ أبا محجن
يقول لك إنَّ خلّيت سبيله، وحملته على هذا الفرس،

ودفعت إليه سلاحاً ليكوننَّ أولَّ من يرجع إليك إلا أن
يُقتلَ ، وأنشد يقول متحسراً :

كفى حَزناً أن تلتقي الخيلُ بالقنا

وأترك مشدوداً عليَّ وثاقيا

إذا قُمتُ عنائي الحديدُ وغُلقت

مصارعُ دوني قد تصمُّ المناديا

حُبستُ عن الحربِ العوانِ وقد بدتُ

وإعمالُ غيري يومَ ذاكِ العواليا

وللَّهِ عَهْدٌ لا أخيسُ بعَهْدِهِ

لئنُ فُرِجتُ أنْ لا أزورَ الحوانيا

فحلَّت زوجة سعد عن قيوده ، فخرج مقاتلاً في سبيل

الله ، ووفى بعهده فلم يشربها بعد ذلك أبدا .

هذه قصة فارسنا البطل الذي جعلته الشهوة عبداً لها

فنزلت رتبته بين الرجال وهو من السادة الفرسان ، ولما

تحرَّر منها عادت إليه حريته ورجولته وإيمانه وسطرَّ أروع

صفحات الجهاد .

د . عبدالرازق الحاج عبدالرحيم حسين

أبو محجن خلف القضبان

دخل أبو محجن منزله يترنح من شدة السكر، لقد
شرب هذه الليلة أضعاف ما كان يشرب .

قالت زوجته وهي تساعد في الوصول إلى فراشه إنه
يشتدُّ في إثرها كلما اشتدوا عليه في الجلد .

ألقي بجسده الواهن على الفراش وهو يهذي بكلمات
لم تستطع زوجته أن تتبين منها سوى بعض الكلمات
«ابن الخطاب، الحد، الخمر» وآهات الألم المنبعثة من
فم كربه الرائحة .

حاولت زوجته في اليوم التالي وهي تبين له الأضرار
المتعددة التي تصيبه بسبب اصراره على الاستمرار في
شرب الخمر وتأمل إقناعه بترك ما هو فيه قائلة :

لك الله يا أبا محجن كم أنت قوي وصبور ولكن
ليت قوتك وصبرك على أمر ذي بال ، لم كل هذه الآلام
تتحملها في سبيل الخمر ؟

تحامل على نفسه وتناسى ما وقع له من التأديب واقامة
الحد وما قابله به الناس من الاحتقار وأراد أن يؤكد لها
صحة رأيها فيه قال :

سأشربها على الرغم من جلدهم إياي ، سأشربها
حتى الممات ، لن أقلع عنها مهما صنعوا بي ومهما
احتقروني وقللوا من شأنى .

تهددت زوجته وقالت : حقا أنت صلب وعنيد ،
ولكنك تضییع ما منحك الله من القوة في التعدي على
حدوده ، ليتك يا أبا محجن تترك ما أنت فيه ، فأنت
لست أقل من أولئك الأبطال الذين سطوروا بجهادهم
ملاحم البطولة ، فأنت فارس العرب في الجاهلية ويجب
أن تكون فارسها في الإسلام ، ومثلك لا يغيب عنه
الصواب .

وماذا أصنع ؟ رد أبو محجن ، ثم أكمل : نفسي تتوق
للجهاد ، فاللعب بالسنان هوايتى ، ومنازلة الأبطال
صنعتي . ولكن لا حيلة لي .

أحست زوجته بأنها قد حركت فيه شوقه القديم
فقالت والأمل يحدها باقتناعه :

أترك ما أنت فيه يا أبا محجن ، وتابعت مشجعه : ها
أنت ذا تركت كثيراً من شئائل الجاهلية فاتركها ، اتركها
يا أبا محجن .

نظر إليها نظرة حادة وقال :

لعلني أستطيع أن أترك أشياء كثيرة ، لقد تركت دين
آبائي وأجدادي ، وحملة الإسلام في قلبي ، ولفظت
عادات الجاهلية ، ولكن الخمرة ليس لي عليها سلطان ،
ولا أراك تكلميني فيها بعد الآن .

عاد أبو محجن إلى مقارعة الخمر سرّاً وعلانية ، وفي
كل مرة يقبض عليه يُقام عليه الحد ، وهو سادراً في غيّه ،
مُسليماً زمامه لشهوته ، تارك لذته تقوده إلى الهاوية ، وهو
لا يملك أن يمنع نفسه ، فقد جمحت به في طريق شديد
الانحدار ، ونسي أبو محجن فروسيته ورجولته ونفسه .
لم ير الخليفة بدءاً من عقاب أبي محجن عقاباً يردعه

على تماديه، فأمر بتعزيزه وترحيله مع جيش الفتح، وأمر قائده على الجيش بسجنه حتى يَفِيَّ إلى أمر الله .

كان بيت القائد سعد بن أبي وقاص على رأس جبل مشرفٍ على مكان القادسية، وهناك قُيِّد أبو محجنٌ وسجن .

الاستعدادات للمعركة على قدم وساق، قادة الأجنحة والألوية والكتائب يدخلون ويخرجون من عند القائد العام، سهيل الخيول وقعقة السلاح تضطرب في ذلك الليل البهيم، النيران تشتعل في أمكنة عدة، وأبو محجن من خلف القضبان يرقب كل ذلك بشوقٍ عظيم .

ما أن طلع الفجر حتى استيقظ أبو محجن على صوت الجنود وهم يحملون قائدهم المريض سعد على محفة ليشرف على سير المعركة .

تنهَّد أبو محجن وقال : لم يمنعه مرضه الشديد من المشاركة في المعركة . ثم نظر أمامه إلى السهل وسفوح

الجبال والتلال والوديان، فرأى مالا عين رأت، فالأرض مزروعة بالرايات، الفرسان الذين باعوا أنفسهم لله، السيوف التي تلمع والرماح التي تصعد والسهام التي تصوب .

وصوب نظره جهة العدو فرأى ما أدهشه : فيلة تتقدم، فرساناً غابوا في حلق الحديد، أعداداً لا حصر لها جمعها ملك الفرس، وعلى رأس الجيش قائدهم المشهور رستم .

وصاح سعد بأعلى صوته «الله أكبر» إنها الإشارة المتفق عليها، فارتجت الأرض بترديدها، واصطدمت الكتائب، وعلت الأصوات، واختلطت الدماء .

وماجت الدنيا في عيني أبي محجن، دارت به الأرض ضاق صدره، نظر إلى قيده والفرسان يصولون ويجولون في أرض المعركة لإعلاء كلمة الله وهو قابع في سجنه، شدَّ قيده، صرخ، أين أنت يا سعد؟ أطلقني، أطلق سراحني، نفسي تهفو إلى الجهاد .

ذهبت أصداء صوته هباءً ، فجلبه المعركة لم تترك
لصوته معنىً أو صدى .

ماذا أصنع ؟ ماذا أفعل بهذا القيد ؟
تساءل بحرقة وألم :

أنتهي المعركة ولا يكون لي شرف الجهاد فيها ؟
أبقى مطروحاً كالكلب المقيّد أمام خباء سيّده
لا يملك إلا البصبة بعينه وتحريك ذيله ؟

خاطب نفسه بصوت عالٍ : نزلت درجتك بين
الرجال يا أبا محجن من أجل الخمرة التي جعلتك عبداً
لها .

لست حراً يا أبا محجن حتى لو زال قيدك ، فالرجل
الذي تأسره عادة ليس برجل ، تبا للخمرة وألف تب ،

ماذا صنعت لي ؟ : عصيتُ فيك ربي ، وذقت الهوان
والعذاب ، وتغرّبت عن أهلي وداري ، واليوم تقفين سداً
في وجهي ؟ !

ماذا صنعت بي ؟ ! أسرتني وجعلتني عبداً ذليلاً ، أنا

لست في سجن واحد ، أنا رهين سجنين ، سجنك أيتها
البديّة . وسجن هذا القيد .

القيدُ يحبسُ جسدي ، وأنتِ . . أنتِ تحبسين
روحي ، قيدك عليّ أشدُّ من كلّ قيد ، أكادُ أجن ، اغربي
عن وجهي أيتها الكريهة ، اغربي . . اغربي وأأسفاه . .
وأأسفاه . . وانخرط في بكاء شديد .

صهلت فرس سعد البلقاء ، وحمحت وهي تنظر
إليه وكأنها تسخرُ به وتقول له :

بو بخزيك حيث يفوز الرجال بالنصر أو الشهادة .
اضطرب في قيده ، ونادى بأعلى صوته :

أختاه ، سلمى ، ربّك ألا فككت قيدي ؟ ! وأطلت
«سلمى» زوج القائد ، نظرت الأسد الرابض يتحفّزُ وفي
صدره ألف فارس .

توسّل إليها :
ربّك أختاه ، فكي قيدي ، لا تحرميني شرف

الجهاد، أعدك إن قُدرت لي الحياة أن اعود إليك وأضع
رجلي في القيد، ساعديني.. ساعديني .
نظرت سلمى إليه وهو يزأر في قيده ويتحرق شوقاً
للقتال، ونظرت إلى ساحة المعركة والأعداء يملئونها
بكثرة عددهم، وهمست :

نحن في حاجة لكل رجل، بكل سيف، لكل ساعدٍ
يضرب في سبيل الله، وهذا ساعد البطل أبي محجن
مغلول في القيود، ماذا أفعل ؟ هل أطلق سراحه ؟ هل
أكون بذلك قد خالفت زوجي القائد ؟ أأكون قد
جاوزت الحد ؟ أأحرم المسلمين من سيف يعرف طريقه
إلى رقاب الأعداء ؟ أأحرم أبا محجن فرصة التوبة والفوز
برضاء الله ؟

وأصابتها الحيرة، لو كان سعد بالقرب مني لأقنعته،
لو كان في حالة صحية لأرسلت له رسولاً، لو لم يكن
مشغولاً بالمعركة لذهبت إليه .
الوقت يضيق ، والمعركة تحتدم ، والفرس يستعملون

سلاحاً فتاكاً لم يعهده العرب في حروبهم، إنه سلاح
الفيلة التي تمضي كالسيل تجرف كل من يقف في
وجهها .

واتجهت بنظرها صوب السماء، ورفعت يديها :
ياربَّ ألهمني الصواب، واستخارت الله فوق الجواب،
توجهت إلى أبي محجن، فكَّت قيده .

انتفض الفارس كالمارد وإذا به فوق صهوة فرس
سعد، وامتشق سيف سعد البتار وانطلق كالسهم ينفذ
في صفوف الأعداء .

ومع أول ضربة سيف ضربها في معركة القادسية كسر
حاجز الوهن والضعف، حطم قيده، فكَّ أغلاله، قطع
حبال عبودية الشهوة المجنونة، وتذوق أعظم لذة عرفتها
شفتاه .